البحّار العثماني محيي الدين بيري ريس حياته وجهاده البحري ١٤٦٥ ـ ١٥٥٤

د. نسيبة عبد العزيز الحاج علاوي
قسم التاريخ / كلية الآداب
جامعة الموصل

الاستلام	القبول
٢١ / ١٢ / ٢٠٠٨	٠٥ / ٠٥ / ٢٠٠٩

Abstract

This research tackles the biography and the jihad of one of the Ottoman sailor men, namely: "Muhyyi Al-Deen Beeri Reess", who spent his life during the period of time in which the Ottoman naval witnessed its super power, greatness and predominance on seas related to its territories. In addition, he lived in the time of the prominent sailor men, like his uncle "Kamal Reess" whom was his leader till his death in (917 A.H. – 1511 A.C.), and "Urouj Reess" and his brother "KhairulDeen Breerussa" with whom he worked for a period of time.

This sailor man was recognized throughout his wide culture and his knowledge of multi-languages which acquired him the ability to know widely most things of sea sciences. All these matters enabled him to be well-known in this field. Depending to his own experience, he composed the most important geographical classification called "The Naval", and he also drew two maps of the world. He also is considered as the drawer of the most ancient map which is known in the world till now. In addition, he is the prominent leader in the Ottoman navy throughout taking part in many naval battles in the Mediterranean Sea, the Arab Gulf and the Arab Sea.

مقدمة

يتناول هذا البحث حياة أحد كبار جال البحرية العثمانية وجهاده، وهو محيي الدين بيري ريس الذي عاصر فترة شهدت فيها البحرية العثمانية أوج قوتها وع ظمتها وسيطرتها في البحار الخاضعة لنفوذها، وعاصر كبار قادة البحر أمثال خاله كمال ريس الذي عمل تحت قيادته إلى

أن توفاه الله عام ٩١٧هـ / ١٥١١ م، وعروج ريس وأخيه خير الدين بربروسا اللّذين عمل معهما لفترة من الزمن.

جاء تميز هذا البحّار من خلال ثقافته الواسعة ومعرفته لعدد من اللغات مما أكسبه القدرة على الاطلاع الواسع على علوم البحار ثمَّ أصبح فيما بعد من البارزين في هذا المجال ووضع بناءً على خبرته الواسعة أهم مصنف في مجال الجغرافيا وعلم البحار آنذاك وهو كتاب **(حرية)**، كما وضع خريطتين للعالم، وهو راسم أقدم خريطة معروفة لحد الآن للعالم الجديد، فضلاً عن كونه القائد البارز في البحرية العثمانية خاض معارك بحرية عديدة في البحر المتوسط والخليج العربي والبحر العربي؛ ولذلك كانت هذه الدراسة للتعريف بجهاد هذا القائد العثماني ضد البرتغاليين والأسبان فقد بدأ ح ياته بالعمل مع خاله كمال ريس لنصرة مسلمي الأندلس وأنهى حياته في مجابهة البرتغاليين في الخليج العربي، وسنقتصر في دراستنا هذه على الجانب الجهادي من حياة محيي الدين بيري ريس أي التركيز على حياته وجهاده منذ أن كان في الثانية عشرة من عمره حتى وفاته عام ٩٦٢ هـ / ١٥٥٤ م.

هو بيري محيي الدين ريس ابن الحاج محمد، ويذكر لنا أن والده يُدعى حاجي حقيري، ويظهر أنه (لقب)، وقد كان الاسم المركب بيري محمد مألوفاً في القرن الساد س عشر الميلادي وهو علم شاع استعماله ولقب به محيي الدين[١]، ولا يوجد تاريخ دقيق لسنة ولادته، إلاّ أنه ولد على الأرجح عام ١٤٦٥م، في مدينة غاليبولي الواقعة على بحر مر مرة وهي قاعدة بحرية عثمانية آنذاك[٢]، ويذكر المؤرخ التركي أوزوتونا أنه من عائلة قره مانية (قونية)[٣]، بينما شككت بعض المصادر في أصله التركي الخالص و أشارت إلى أنه كان نصرانياً و ربما يكون من أصل يوناني[٤]. إلاّ أن أغلب المصادر أجمعت على أنه ولد في غاليبولي، وإذا كان اوزوتونا أشار إلى أصله القره ماني فربما يكون ابناً لأحد العائلات القره مانية التي هاجرت وسكنت في غاليبولي بعد أن أصبحت تابعة للدولة العثمانية وهو الراجح.

مهما يكن من أمرٍ فإنّ محيي الدين بيري ريس وهو بحار وجغرافي عثماني، بل أنه يعد واحداً من أبرز الملاحين الذين قدّمهم العثمانيو ن للعالم، عاش حياة بحرية نشطة في البحار الواقعة ما بين البحر المتوسط والخليج العربي، كانت مليئة بالانجازا ت في مجال علوم البحار والجغرافيا، فضلاً عن دوره الجهادي الكبير في هذه البقعة المائية الواسعة، ويذكر أنه لم يبقَ في البحر المتوسط ساحل أو جزيرة أو صخرة لم يشاهدها، ما أهّله لوضع كتابه **(بحرية)** الذي حوى أدق المعلومات عن البحار في ذلك الزمن . وكانت أهم انجازاته تكمن في الخرائط التي تظهر الأج زاء المكتشفة في العالم [٥]. وبما أنه ولد في غاليبولي فهذا يعني أنه أمضى حياته في البحر وتلقى في غاليبولي علومه الأولى وعاش سنواته السبع فيها، وعندما بلغ

الثانية عشرة من عمره التحق بطاقم خاله كما ل ريس [٦]، ويذكر عفت انيان نقلاً عن المؤرخ التركي ابن كمال: ((أن أطفال غاليبولي ينشأون في المياه مثل التماسيح مهدهم القوارب وينامون على أصوات البحر والسفن التي كانت متواجدة ليلاً ونهاراً)) [٧].

جهاده تحت راية خاله كمال ريس:

بدأ محيي الدين عمله تحت إشراف خاله كمال ريس، وقد اشترك في العمليات البحرية التي خاضها لفترة (١٤) سنة دون انقطاع، فقد كان كمال ريس قد أنشأ له قوة بحرية في غرب البحر المتوسط، وكان يقوم بمهاجمة سفن الأسبان والبرتغاليين التي تتعرض للمسلمين النازحين من الأندلس وينقلهم إلى المغرب العربي، وخلال الفترة ما بين ١٤٨٧ . ١٤٩٣ شارك في عمليات متعددة من هذا النوع تحت إشراف كمال ريس الذي قضى فترة طويلة على ط ول سواحل المغرب العربي في الجز ائر وتونس وعنابه [٨]، وكوّن علاقات حميمة مع السكان هناك، كما شارك كمال ريس في معاركه ضد صقلية وسردينيا وكورسيكا بين عامي ١٤٩٠ . ١٤٩١م [٩].

يذكر اوزوتونا أن أولى عمليات كمال ريس التي كا ن محيي الدين بيري ريس مشاركاً فيها قامت بقصف كافة موانئ أرغون (كاتلونيا) واستولى بصورة فعلية على ميناء ملقة الذي أخذه الأسبان قبل عدة أشهر من عرب الأندلس، إلاّ أنه انسحب منه وأحرقه [١٠]. وقد أشار بيري ريس في كتابه (**بحرية**) إلى بعض تلك العمليات العسكرية الت ي كانت غالبيتها موفقة وحصلوا منها على غنائم كثيرة، ففي معاركهم ضد كورسيكا انتصروا على الأسبان وسيطروا على ثلاث ة مراكب، وقد وصف بيري ريس في كتابه المار الذكر جزيرة كورسيكا وصفاً دقيقاً وقدّم شروحات وافية عنها وعن سكانها [١١]، وهذا يعني أن بيري ريس لم يقدم للمسلمين آنذاك انتصاراً على أعدائهم فحسب، وإنما قدّم لهم معلومات قيّمة عن مناطقهم والتي أفادت كثيراً من ناحية جغرافية وعسكرية.

كما أغار مع خاله كمال ريس على فلنسيا وكانت عملية عسكرية موفقة فقد استولوا على سبع مراكب أسبانية في معركة بحرية واحدة [١٢]. وقد حاز كمال ريس وفريقه البحري على شهرة واسعة في البحار لما يربو على ثلاث عشرة أو أربع عشرة سنة اعتمد فيها على خبرته البحرية، وينشد كمال ريس في ذلك شعراً حيث يقول: (لقد أبحرنا في ذلك الزمن في البحر المتوسط وقاتلنا أعداء الدين بلا هوادة) [١٣].

ومن الجدير بالذكر أن كمال ريس ومحيي الدين بيري ريس كانا يمارسان عملهما بشكل مستقل عن الدولة العثمانية، وحتى أن السلطان بايزيد الثاني (١٤٨١ . ١٥١٢ م) لما استنجد به عرب الأندلس وقدّم لهم مساعدات أرسلها إلى كمال ريس عام ٨٩٣ هـ/١٤٨٧م باعتباره هو الذي يقود حركة الجهاد هناك، إلاّ أنه ومنذ العام ٩٠١ هـ/١٤٩٥م وفي عهد السلطان بايزيد

الثاني أيضاً دعي كمال ريس وطاقمه رسمياً للانضمام إلى أسطول الدولة العثمانية، وكتب بيري ريس حول أسباب دعوة السلطان لهم للانضمام إلى أسطول الدولة العثمانية فقال : ((كان كمال ريس على معرفة بكل ما يتصل بالبحر وكانت له السيطرة المطلقة عليه حيث لم يستطع أحد أن يخضعه رغم أن ذلك العهد لم يكن يخلو من البحارة الماهرين إلاّ أن الله ﷻ سخّر له أغلب الانتصارات والفتوحات حتى أنّي لأعجب لأمر وأسرار البحار التي يعرفها ، ولهذا دعانا السلطان بايزيد الثاني ضمن جيشه وأن نسخر لصالح الدولة كل خبراتنا البحرية، وبعد أن عدنا إلى الوطن (غاليبولي) في ع ام ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م ذهبنا في بعث ات واستط لاعات بناءً على أوامر السلطان، وقد نلنا العديد من الانتصارات البحرية"[١٤].

وهكذا أصبح كمال ريس القائد العام للأسطول العثماني في حين أن بيري ريس حصل على رتبة قائد لبعض السفن، وقد شارك الأثنان مع القائد العثماني براق ريس [١٥]، في قيادة المعارك البحرية العثمانية ضد البندقية بين عامي (٩٠٥ . ٩٠٨هـ /١٤٩٩ . ١٥٠٢م)، وقد انفرد بيري ريس في هذه المعارك بقيادة جزء من الأسطول العثماني، وكانت تلك المعركة الأولى التي خاضه ا ضد أسطول البندقية من دون رعاية خاله كمال ريس عام ٩٠٦ هـ/١٥٠٠م في مناطق نافارينو وليبانتو، وكانت مسؤولية الأسطول على عاتق محيي الدين بيري ريس بالكامل، وقد أظهر بيري ريس تلميذ كمال ريس براعة وشجاعة كافيتين لإحراز النصر وفتح مراكز هامة في بحر الأدرياتيكي والبحر المتوسط[١٦].

ويمكن القول أن الدولة العثمانية حققت في معاركها مع البندقية انتصارات كبيرة سواء كانت تحت راية كمال ريس ومحيي الدين بيري ريس أو براق ريس، فضلاً عن أن السلطان قاد عدداً من تلك المعارك، وكان من نتيجة تلك المعارك تصفية وجود البنادقة في مورا واليونان وطردوا البنادقة نهائياً من ألبانيا [١٧]، كما أصبحت الدولة العثمانية قوة اقتصادية كبيرة، فضلاً عن أنها أصبحت عاملاً مهماً في توازن القوى في أوربا [١٨]، وقد أشّرت تلك الانتصارات بداية مرحلة غير مسبوقة للتوسع البحري للدولة العثمانية، رغم ما قيل عن فترة الجمود في الأنشطة العسكرية العثم انية في فترة السلطان بايزيد الث اني، ولاسيّما أن الفترة شهدت صراعاً بين بايزيد وأخيه (جم) على السلطة[١٩]، فضلاً عن ميل السلطان بايزيد الثاني لحياة العزلة والتصوف، إلاّ أن مالاحظناه يعطي انطباعاً إلى أن الدولة العثمانية لم تترك الجهاد في هذه المرحلة التي كانت شاهدة على انتصارات كبيرة حققها العثمانيون على البنادقة في تلك الفترة.

استمر بيري ريس يمارس نشاطه الجهادي تحت راية خاله كمال ريس، فقاد عام ٩١٦هـ / ١٥١٠م حملة على أسبانيا فقصف سواحلها ونقل عدداً من المهاجرين المسلمين إلى ب لاد المغرب العربي، كما ذهب برفقة خاله إلى فاس وكان عمره (٢٠) سنة قابل هناك ابن م حمد الحادي عشر وهو آخر ولي عهد للأندلس[٢٠]. وربما يكون اللقاء من أجل مناقشة الاستعدادات العثمانية والتهيئة لاستعادة الأندلس.

وفي عام ٩١٧ هـ / ١٥١١م وعندما كان كمال ريس عائداً من حملة قادها على أسبانيا غرقت سفينته في إحدى المعارك واستشهد بعد جهاد طويل دام (١٧) سنة، ولم يكن بيري ريس معه في تلك الحملة لأسباب غير معروفة، وقد حزن بيري ريس على خاله حزناً عميقاً، تحدث عنه بمرارة كبيرة وسجّل أحزانه على خاله في كتابه **(بحرية)** وكان تأثير ذلك الحدث عليه بالغاً حتى أنه ترك العمل في البحار، وعاد إلى موطنه في غاليبولي وهناك تفرغ للعمل على خريطته الأولى للعالم، والجزء المعروف الآن يعد جزءاً منها[٢١].

بيري ريس يعود مرة أخرى للعمل في البحار:

عاد بيري ريس للعمل في الأسطول العثماني، فقد كلف خلال الفترة (١٥١٦ . ١٥١٧م) بقيادة عدد من السفن التي كان لها دور في المعارك البحرية ضد المماليك في مصر تحت قيادة جعفر بيك الذي انطلق إلى الإسكندرية، بينما أبحر بيري ريس بجزء من هذا الأسطول إلى القاهرة عن طريق نهر النيل ورسم بعد ذلك خارطة عن هذه المنطقة وسجّل معلومات مفصلة عنها[٢٢].

بعد فترة ليست بالطويلة عاد بيري ريس للعمل تحت قيادة الأخوين عروج وخير الدين بربروسا[٢٣]، وخلال عمله مع هما أرسل مبعوثاً إلى السلطان سليم الأول (١٥١٢ . ١٥٢٠م)، وتذكر المصادر أن ذلك كان عام ٩٢٥هـ /١٥١٩م[٢٤]، في حين أن خير الدين بربروسا يتحدث عن تلك السفارة في مذكراته ورغم أنه لم يذكر تاريخاً لتلك السفارة إلاّ أنها حسب ما يذكر كانت قبل استشهاد عروج أي قبل عام ٩٢٤ هـ/١٥١٨م تاريخ استشهاده، وربما تكون بعد عودته من مصر مباشرة[٢٥]، ومن الجدير بالذكر أن بيري ريس التقى بالسلطان سليم الأول في مصر قبل أن يرسل مبعوثاً إلى استانبول من الأخوين عروج وخير الدين، وقدّم إليه الخريطة التي كان قد رسمها في وقت سابق[٢٦]. وربما يكون هذا الأمر صحيحاً، إذا علمنا أن بيري ريس شارك في الحملة على مصر ولاسيّما معارك الإسكندرية البحرية بقيادة جعفر بيك وكان قائداً لعدد من السفن العثمانية. وعلى ما يبدو فإن خير الدين أرسل عدداً من المبعوثين إلى استانبول في فترات متفاوتة[٢٧]، حسب ما يذكره الباحث أنيس القيسي استناداً إلى عدد من الوثائق والمصادر وهذا ما يبرر الخلط الذي وقعت به المصادر في تحديد تاريخ إرسال بيري ريس إلى استانبول.

وعلى كل حال فقد أُرسل محيي الدين بيري ريس إلى استانبول مع ست قطع من السفن وكثير من الأسرى، وبعد أن قضى واحداً وعشرين يوماً في الطريق وصل إلى استانبول واستقبل بحفاوة بالغة، وقدّم إلى السلطان ووزرائه الهدايا التي كان قد أرسلها عروج وخير الدين، وفي المقابل أرسل السلطان للأخوين سفينتين حملها بالكثير من المساعدات العسكرية وسيفين حليت قبضتاهما بالماس، فضلاً عن أنه أصلح السفن التي قدم بها بيري ريس و زودها بما تحتاج إليه من معدات[٢٨]. ويصف خير الدين بربروسا السفينتين اللتين أهداهما السلطان له ولأخيه بقوله:

((مجرد أن رأيت السفينة التي يركبها بيري ريس كدت أفقد صوابي إعجاباً بها، لقد كانت ضخامتها وروعتها توحيان بأنها مما تفضل به السلطان علينا ...))(٢٩)، وهذا إنّ دلّ على تقدير السلطان سليم الأول (١٥١٢ . ١٥٢٠م) لجهاد الأخوين عروج وخير الدين، فإنه يدل في الوقت نفسه على مدى ما وصلت إليه صناعة السفن في الدولة العثمانية من تطور، فضلاً عن تطور القوة البحرية العثمانية، ولاسيّما أن السلطان سليم أمر بصناعة تلك السفينتين خصيصاً للأخوين عروج وخير الدين في مصانع السفن في استانبول . ويذكر خير الدين أن سبب اختياره محيي الدين بيري ريس لتلك المهمة لأنه: ((كان ظريفاً، عالماً، عارفاً بالآداب السلطانية))، وكان فضلاً عن هذا يمتلك ثقافة واسعة ويجيد التحدث بلغات عدة منها الأسبانية واليونانية والإيطالية والبرتغالية، إلى جانب لغته التركية الأم (٣٠). وقد مكنته تلك المعرفة باللغات من الاطلاع على العلوم البحرية والجغرافية بلغات عدّة مما جعله من عظماء عصره في علوم الملاحة، فضلاً عن أنه كان من عظماء قادة الجهاد البحري العثماني.

وبالعودة إلى جهاده البحري فقد فإنه شارك مع السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ . ١٥٦٦م) في حملته على رودس عام ٩٣٠ هـ/١٥٢٢ م، واستفاد السلطان سليمان القانوني من خبرته البحرية، والتي كان قد دوّنها في كتابه **(بحرية)**(٣١)، كما أن السلطان سليمان القانوني قرر أن يكون بيري ريس مستشاراً للصدر الأعظم إبراهيم باشا (١٥٢٣ . ١٥٣٦ م)، ويذكر بيري ريس ((أن المختصين بشؤون البحر ذكّروا السلطان بوجوب وجود دليل ومرشد للرحلة، فقد تمَّ ترشيحي للمهمة وذكروا عني للسلطان أن بيري بن محمد بالغ الحرص في عمله ويعرف متى يتخذ القرار ويتصرف في الوقت المناسب))(٣٢)، وعلى هذا أصبح قائداً للسفينة التي يستقلها الصدر الأعظم إبراهيم باشا خلال تفتيشه لمصر عام ٩٣١ هـ/١٥٢٤ م، وكان مستشاره خلال إصلاحاته التي دامت سنة واحدة، وقد وطّد السلطة العثمانية في مصر بعد تمرد واليها أحمد باشا (١٥٢٣ . ١٥٢٤ م) وقام بإصلاحات مهمة فيها(٣٣)، وقد قدّم بيري ريس تفصيلاً جيداً عن تلك المهمة في كتابه **(بحرية)**.

ويذكر محيي الدين بيري ريس أنه أثناء مرافقته للصدر الأعظم إبراهيم باشا . الذي استفاد من كتابه **(بحرية)** . شجّعه على وضع نسخة ثانية للكتاب وقدّمها للسلطان سليمان القانوني عام ٩٣٣ هـ/١٥٢٦ م، وقد ذكر محيي الدين بيري ريس أنّ إبراهيم باشا عرف للسلطان أهمية كتابي وقال له بأنه ذو نفع عظيم، وقد قدّم لي خدمة جليلة و إليه يعود الفضل في شهرتي في هذا المجال(٣٤).

ومن الجدير بالذكر أنّ محيي الدين بيري ريس في كتابه **(بحرية)** نبّه السلطان سليمان القانوني إلى تزايد النفوذ البرتغالي في المحيط الهندي، مما سيؤدي إلى آثار خطيرة على اقتصاد الدولة العثمانية، فقد نبّه عدد كبير من العثمانيين، فضلاً عن بيري ريس إلى هذه المسألة التي أدت إلى تحول التجارة العالمية إلى أيدي أعداء المسلمين ؛ لذا وجب على ولاة أمورهم التحرك

من أجل معالجة هذا الأمر (٣٥). قدّم في كتابه **(بحرية)** معطيات عن التقنية البحرية وتجارة البرتغاليين، ودعا السلطان إلى توسيع رقعة الدولة ومكافحة الكفار الذين تجرّؤا على الاقتراب من الديار المقدسة، ولفت نظره إلى أن البرتغاليين استحوذوا شيئاً فشيئاً على تجارة الهند مع أوربا، نصحه بالتوجه إلى البحار الجنوبية لمهاجمة ما بناه البرتغاليون على سواحل الهند من حصون ومعاقل(٣٦). وكان السلطان قد تسلم تقريراً مفصلاً من القائد البحري سليمان ريس حول حجم القوات البرتغالية وأهدافها في المحيط الهندي حرّضه فيه على شن هجمات أكبر ضدها(٣٧).

ويبدو أن السلطان استجاب لتلك الإشارات، ولاسيّما إذا ما علمنا أن الأسطول العثماني قام بنشاط واسع ضد البرتغاليين في مياه الخليج العربي، وقد قاد بيري ريس بعض تلك العمليات العسكرية، وكان العثمانيون قد أخذوا على عاتقهم بعد فتح مصر طرد البرتغاليين من البحر الأحمر وبذلوا جهوداً كبرى لبناء أسطول قوي لمواجهة التحديات الخارجية في المياه الشرقية وبفضل تواجدهم في تلك البحار أحبطت محاولات البرتغاليين للسيطرة على البقاع المقدسة في الحجاز وفشلت مساعيهم في التحالف مع ملك الحبشة لتعطيل تجارة المسلمين مع الشرق (٣٨)، وكان ملك البرتغال عمانوئيل الأول (١٤٩١ . ١٥٣١ م) قد قرر منذ عام ١٥٠٥م السيطرة على التجارة العربية من خلال احتلال عدن وهرمز(٣٩)، وهذا ما حدث بالفعل مما كان له أعظم الأثر على المسلمين آنذاك.

استطاع العثمانيون بقيادة سليمان ريس إحباط الهجمات البرتغالية في الأعوام ١٥١٧ و ١٥٢٥ م على سواحل جدة وإبعادهم عن سواحل اليمن (٤٠)، ويعد العام ١٥٣٨ بداية نشاط عثماني حقيقي واسع ضد البرتغاليين، فقد شهد هذا العام وصول وفود من مسلمي الهند إلى السلطان سليمان القانوني يستنجدون به من اعتداءات البرتغاليين، فقد وصل مبعوث سلطان دلهي ومبعوث أمير كجرات (بهادر شاه)، فأرسل السلطان سليمان القانوني حملة بحرية لنجدتهم عام ١٥٣٨ بقيادة سليمان باشا الخادم والي مصر وأمره بالمرور إلى اليمن لتثبيت السيطرة العثمانية فنجح في مهمته رغم ارتكابه بعض الأخطاء عندما قتل حاكم عدن داود الطاهري، وتابع سيره إلى الهند، إلاّ أنه فشل في تلك الحملة(٤١).

ويذكر أن هذه الحملة كبيرة تألفت من ثمانين سفينة تم بناؤها في مصر، وعلى الرغم من ذلك فشلت في تحقيق أهدافها في المحيط الهندي؛ لعدم تعاون حكام الأمارات الهندية مع سليمان باشا الخادم (٤٢). ويبدو أن الأخطاء التي ارتكبها سليمان باشا الخادم في اليمن ولاسيّما قتله داود الطاهري حاكم عدن قد أثارت مخاوف حكام الأمارات الهندية المسلمين، فلم يبدوا تعاوناً مع الحملة العثمانية خوفاً من أن لا يلاقوا المصير الذي لاقاه داود الطاهري.

ويذكر أحد المصادر أنّ العام ١٥٣٨ م شهد حملة أخرى قادها محيي الدين بيري ريس إلى هرمز بعد أن استنجد أهلها بالسلطان العثماني ومرّت الحملة بمسقط التي سيطر عليها بيري ريس، ثم انسحب منها دون أن يصل إلى هرمز[٤٣]، إلاّ أنه لا يمكن أن تعول على تلك الرواية.

ومهما يكن من أمر فإن هذه الحملة أثارت رغم فشلها قلق البرتغاليين الذين اندفعوا عام ٩٤٨ هـ/١٥٤١ م للرد على العثمانيين في عقر دارهم في السويس وكان في نيتهم تحطيم الأسطول العثماني هناك إلاّ أن الحملة فشلت[٤٤].

بيري ريس قائداً عاماً للأسطول العثماني في السويس:

وعلى الرغم من الفشل العثماني في انجاد مسلمي الهند، فإنّ سياسة البطش التي مارسها البرتغاليون ضدهم جعلتهم يعيدون الكرة ويستنجدوا من جديد بالدولة العثمانية، و قد أرسل الأمير علاء الدين مبعوثاً إلى السلطان سليمان القانوني في عام ٩٥٤ هـ/١٥٤٧ م يحثه على نصرتهم ضد البرتغاليين [٤٥]. ويبدو أن السلطان سليمان القانوني استجاب مرة أخرى لهذه المناشدات، لكن بعد أن يهيئ للأمر ولاسيّما أن الوجود العثماني في اليمن والبصرة على المستوى الداخلي كان قلقاً وهي قواعد مهمة للدولة العثمانية في المياه الجنوبية، كما أنّ الخطر البرتغالي يتهدد عدن والبصرة.

ففي البصرة كان العثمانيون قد امتدوا إليها وضمّوها إلى سلطتهم نهائياً عام ٩٥٣هـ/١٥٤٦م، فأصبحت القاعدة البحرية الثانية لهم بعد السويس، وكان سبب ضمّها تمرد شيخ البصرة وإعلانه خلع طاعة العثمانيين، كما كانت للبرتغاليين محاولات للسيطرة على البصرة، وقد حاول حاكم البصرة المطرود من العثمانيين الاتصال بالبرتغاليين ليساعدوه في استعادة البصرة مقابل السماح لهم ببناء حصن في ميناء البصرة، فاستغلوا الفرصة وقاموا بإرسال حملة كبيرة من (١٩) سفينة وألف ومائتي جندي هاجمت القطيف بالمدافع وهاجمت البصرة لكنها لم تنجح في البصرة ونجحت لاحقاً في القطيف عام ٩٥٧ هـ / ١٥٥٠ م، وكان أهالي القطيف قد أعلنوا انضمامهم للعثمانيين ووضعوا أنفسهم تحت حمايتهم، إلاّ أن البرتغاليين سيطروا من جديد على القطيف [٤٦]. وقد أثار فشل البرتغاليين في السيطرة على البصرة غضبهم مما دفعهم إلى محاصرتها اقتصادياً، فأصدروا أمرهم إلى التجار بعدم الوصول إلى البصرة وهددوهم بالعقاب إذا خالفوا أوامرهم[٤٧]، للتضييق عليها اقتصادياً.

أما اليمن فقد اجتاحتها الاضطرابات وعلى الرغم من جهود الدولة العثمانية في إخمادها، فإنها ما تلبث تهدأ لفترة حتى تعود من جديد، وقد مكنت تلك الأوضاع القلقة في اليمن البرتغاليين من السيطرة على عدن من جديد[٤٨].

لكل ما تقدم قام السلطان سليمان القانوني عام ٩٥٥ هـ/١٥٤٨ م بتعيين محيي الدين بيري ريس قائداً للأسطول العثماني في السويس، و كلّفه بالإعداد لحملة عسكرية بحرية لإنجاد مسلمي الهند وللرد على تعديات البرتغاليين على البصرة وعدن والتي انتهت باحتلالهم القطيف عام ٩٥٧ هـ/١٥٥٠ م، فقاد بيري ريس حملة بحرية تحركت من ميناء السويس إلى شواطئ شبه الجزيرة العربية تتألف من ثلاثين سفينة بلغ عدد طاقمها (٦٠) ألف شخص[٤٩]، وفق ما أشارت بعض المصادر، وربما تكون هناك مبالغة في تقدير طاقم السفن ، ولما علم البرتغاليون باقتراب محيي الدين بيري ريس من ميناء السويس انسحبوا من عدن، وكانوا قد أرسلوا حملة إليها مؤلفة من (٢٢) سفينة وصلت ثلاث منها إلى عدن في نفس الموعد الذي وصل فيه محيي الدين بيري ريس، فانقضَّ عليها واستولى على اثنتين منها وتمكنت الثالثة من الفرار، وما أن وصل بيري ريس إلى اليمن حتى اشترك في إخماد التمردات في اليمن عام ٩٥٥ هـ/١٥٤٨ م، بعد أن سيطر على عدن في ٢٥ شباط ١٥٤٨[٥٠]، وكان لهذا النصر أهمية كبيرة في الحفاظ على الأمن في اليمن والبحر الأحمر والديار المقدسة.

استمرت حملات العثمانيين في مياه الخليج العربي والمحيط الهندي في هذه الفترة حتى عام ٩٥٩ هـ/١٥٥١ تاريخ قيادة محيي الدين بيري ريس للحملة الأخيرة في حياته الحافلة بالانتصارات، ففي السنة المذكورة هاجم مسقط واستولى على قلعتها بعد أن سيطر على سفينة برتغالية قادمة من الهند وأسر قبطانها مع عشرة من رجاله، كما نجح في أسر قائد الحامية البرتغالية في القلعة وتقدم إلى جزيرة هرمز وحاصرها حصاراً شديداً، لكنه فشل في الاستيلاء عليها، فاضطر للانسحاب إلى البصرة[٥١]. ومن الجدير بالذكر أن مسقط تعد حصن البرتغاليين المنيع وهي الأقرب إلى مضيق هرمز وذات أهمية ستراتيجية ، لتحكمها بالطرق التجارية والعسكرية في الخليج العربي[٥٢].

في طريق عودة بيري ريس من حصاره لهرمز مرَّ على بعض المناطق فسيطر على جزيرة قشم في ضفة لارستان في الجانب الفارسي ودخل ميناء بندر عباس وقام باستعراض فيه وعاتب المسلمين على تعاونهم مع البرتغاليين وزار إمارات عمان وقطر والبحرين وحصل على اعتراف منهم بالتبعية للدولة العثمانية، وتشير بعض الوثائق المتوفرة حول هذه الحملة أن أسطول محيي الدين بيري ريس قدّم الكثير من الخسائر في المعركة البحرية التي وقعت قرب هرمز، ورغم ذلك فقد لاحق بيري ريس البرتغاليين وفرض حصاراً على قلعة هرمز [٥٣]. وتشير بعض المصادر إلى أن هلم يرفع الحصار عن ها إلاّ بعد أن تلقى رشوة من البرتغاليين [٥٤] ولا يمكن تصديق هذا الأمر أو القبول به، ولاسيّما أن محيي الدين بيري ريس الذي بلغ الثمانين من عمره آنذاك، قضى حياة طويلة في خدمة الدولة العثمانية همّه الجهاد في سبيل الله منذ أن كان عمره اثنتا عشرة سنة وختم حياته بذلك.

وكان محيي الدين بيري ريس قد حاصر هرمز لمدة شهر، إلاّ أنه رفع الحصار عنها وانسحب إلى البصرة ولم يلبث هناك طويلاً حتى عاد إلى السويس، ويبدو أن بيري ريس سمع بأنباء وصول الأسطول البرتغالي فانسحب إلى البصرة[٥٥]. إنّ انسحاب بيري ريس وفك الحصار عن هرمز نتيجة إدراكه لصعوبة الأمر وهو قائد خبير بالمعارك، وهذا ما أ هّله لأخذ موقع هام في قيادة الأساطيل العثمانية، وب مثل هكذا خبرة تمكن من تقدير الموقف بدقة، فقد وجد أن الاستمرار ليس في صالحه، ولاسيّما أن البرتغاليين قد حصّنوا هرمز تحصيناً جيداً، كما أنهم أرسلوا أسطولاً من الهند لمجابهة بيري ريس، ويمكن القول أن تقديراته ك انت دقيقة جداً، فبعد أن انسحب إلى البصرة تابعه الأسطول البرتغالي إلى هناك مما اضطره إلى مغادرتها إلى السويس قبل أن يقطع عليه البرتغاليون طريق العودة.

غادر محيي الدين بيري ريس البصرة إلى السويس بصحبة ثلاث سفن تاركاً بقية أسطوله في البصرة لإصلاحه، وفي طريق عودته فقد إحدى سفنه في البحرين وعاد بسفينتين فقط، إلى السويس[٥٦]، وتشير بعض المصادر إلى أن محيي الدين بيري ريس خدع من أسي ره قائد مسقط البرتغالي الذي أوهمه بزحف أسطول برتغالي إلى الخليج العربي ونصحه بأن يسارع بالهرب قبل أن يغلق البرتغاليون مضيق هرمز في وجه الأسطول العثماني، فاستمع بيري ريس لتلك النصيحة وأخذ معه أمواله الخاصة [٥٧]. ولا يمكن أن نصدق تلك الرواية، لاسيّما إذا علمنا أن الأسطول العثماني في البصرة قد تعرض فعلاً لهجمات البرتغاليين وتركز النشاط البحري العثماني في الفترة التي أعقبت تلك الحملة على إنقاذ الأسطول العثماني في البصرة.

وعلى الرغم من كل ما قدمه محيي الدين بيري ريس من خدمات و على الرغم من جهاده الطويل فإنه راح ضحية الخلافات والأطماع الشخصية لمعاصريه، فقد كان على خلاف مع والي البصرة قباذ باشا الذي أرسل إلى السلطان سليمان القانوني تقريراً أتهم في ه محيي الدين بيري ريس بالخيانة وع دم إطاعة الأوامر [٥٨]، كما أتهمه بالاستيلاء على أموال تجّار مسقط وهرمز وأنه أخذ أموالاً من البرتغاليين لمقايضة أسراهم البالغ عددهم (٧٠) أسيراً، وبذلك يكون قد التفت إلى جمع الأموال على حساب اتمام المهمة[٥٩] ورفض الديوان الهمايوني دفاع محيي الدين بيري ريس عن نفسه المتمثل في أنه كان من الخطر إعادة السفن قبل إصلاحها، ولاسيّما أن وزراء الديوان الهمايوني كانوا يجهلون الموقف هناك فحكموا عليه بالإعدام واستدعي من السويس إلى القاهرة عام ٩٦٢ هـ/١٥٥٤ م وأُعدم وهو في حوالي الثمانين من عمره ودفن في القاهرة [٦٠].

وعلى ما يبدو فإن تقديرات بيري ريس للموقف كانت صحيحة، وكان انسحابه ناجحاً وموفقاً إذ استطاع العودة بسفنه سالمة إلى البصرة وهي قاعدة عثمانية متقدمة في الخليج العربي بعد السويس، بدليل أن مراد بك ريس الذي كلّفه الباب العالي بإعادة السفن ال تي تركها محيي الدين بيري ريس في البصرة، قدم إليها بأسطول قوامه (١٥) سفينة، إلاّ أنه فشل في مهمته وخسر بعضاً من سفنه بعد معارك فاشلة مع الأسطول البرتغالي المتواجد هناك وعاد إلى البصرة، فانتدبت الدولة العثمانية سيدي علي ريس [٦١] لقيادة الأسطول وإكمال المهمة ا لتي فشل

فيها مراد ريس ومن قبله محيي الدين بيري ريس، إلاّ أن الأسطول البرتغالي أعترضه وتلقى ضربةً قويةً قرب مسقط ضعضعت سفنه وأفشلت مهمته في البحار الشرقية(٦٢).

وكل هذا يؤكد أن العمل الذي قام به محيي الدين بيري ريس عمل يستند إلى خبرة طويلة أكسبته القدرة على اتخاذ قرار كان من شأنه أن يقلل خسائر الدولة العثمانية أم ام البرتغاليين، فضلاً عن أنه حفظ هيبة الدولة أمام أعدائها، إلاّ أن الخطأ الذي ارتكب بإعدامه والإصرار على مواصلة المهمة التي حاول إنهاءها، . لأن الاستمرار بها ليس في صالح الدولة .، أوقع الدولة العثمانية في خسائر كبيرة، فضلاً عن أنه أطمع أعداء ها، لاسيّما البرتغاليين الذين سيطروا على البحار الشرقية، وكان محيي الدين بيري ريس قد أنزل بهم قبل إعدامه ضربات قوية وأقضَ مضاجعهم في الخليج العربي، فكانت خسارته كبيرة على الدولة، بعد أن قضى حياته في جهاد دائم منذ نعومة أظفاره حتى توفاه الله ﷻ.

خاتمـة:

من خلال دراستنا لسيرة هذا القائد البحري العثماني محيي الدين بيري ريس، تُبَيّنْ مدى ما بذله ذلك القائد في التصدي للأطماع الأوربية في المنطقة العربية الإسلامية، سواء عمل بشكل مستقل عن الدولة العثمانية في بداية نشاطه أو م ع الدولة العثمانية منذ انضمامه إليها في عهد السلطان بايزيد الثاني، كما أبرز البحث دور الدولة العثمانية في الحفاظ على المنطقة العربية عموماً والديار المقدسة بشكل خاص عن دما تصدت للوجود البرتغالي في المياه العربية، فضلاً عن محاولاتها العديدة لنجدة مسلمي الهند الذين تعرضوا للاضطهاد من الاستعمار البرتغالي، وعلى الرغم من بعض الفشل الذي منيت به الدولة العثمانية فإنّ دورها كان كبيراً.

وثبت من خلال البحث قدرة بيري ريس على تقدير المواقف استناداً إلى خبرة كبيرة، فعلى سبيل المثال كان رفعه للحصار عن هرمز عملاً موفقاً ول يس كما يُقال بسبب خيانة، كان عملاً مبنياً على معطيات الواقع وموازين القوى آنذاك، بدليل فشل القادة اللاحقين له في إتمام نفس المهمة التي كُلف بها، بل كبدّوا الدولة العثمانية خسائر فادحة نتيجة إصرارها على أن العمل الذي قام به عمل خاطئ.

هوامش البحث:

١. محمد ثريا، سجل عثماني ياخوذ تذكرة مشاهير عثمانية، دردنجي جلد، (استانبول، ١٣٠٨ هـ)، ص ص ٤٤، ٢٣٩؛ مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مجلد ١، (بغداد، د . ت)، ص ٢٢٧؛ دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد ٤، مادة (بيري محي الدين ريس)، ص ٤٠٥.
٢. عفت اينان، أمير البحر العثماني بيري ريس حياته وأعماله، ترجمة : عبد الرحمن كيلاني، على موقع الأنترنيت www. Fustat. com

٣. يلماز اوزوتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج ١، ترجمة : عدنان محمود سلمان، (استانبول، ١٩٨٨)، ص ٣٣٣.

٤. اغناطيوس يوليانوفتش كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة : صلاح الدين عثمان هاشم، القسم الثاني، (موسكو، ١٩٥٧)، ص ٥٨٨؛ دائرة المعارف، مجلد ٤، مادة (بيري محي الدين ريس)، ص ٤٠٥.

٥. ينظر :

Syidi Ali Reis, Mir At – Ul _ Memalik, S .19; AFetinon, A. Life and work of Pire Reis: the oldest Map of America, Translated by: L. Yolas and E. Uzmen. (Ankara, 1975). P. 19;

صالح اوزيران، الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤ . ١٥٨١، ترجمة: عبد الجبار ناجي، (بغداد، ١٩٧٩)، ص ٤٧. من الجدير بالذكر أن العثمانيين اهتموا كثيراً بعلم الجغرافيا، والكشوف الجغرافية الأوربية، وكان محيي الدين بيري ريس من أوائل من اهتموا بذلك، للمزيد عن اهتمام العثمانيين بعلم الجغرافيا ينظر : أحمد حامد ومصطفى محسن، توركيه تاريخي، (استانبول، ١٩٢٦)، ص ص ٥٤٢ . ٥٤٣ ، وعن كتاب (**بحرية**) وخرائط بيري ريس ينظر :

Afetinan, op. cit., pp. 12 – 17; Erich von Daniken, chariats of Gods ?

على موقع الأنترنيت ; www. biyografi. net

إبراهيم اردنج شمونو، خريطة بيري ريس واكتشاف المسلبمين لأمريكا، ترجمة : اورخان محمد علي على مع الأنترنيت www. Islamonlin . com ؛

ب. ج. سلوت، كتاب بيري ريس البحري وسلسلة الخمسة قرون من كتب جزر البحر الأبيض، على موقع الأنترنيت www. Fustat. Com

٦. **كمال ريس:** هو أحمد كمال الدين بك المعروف بـ كمال ريس وهو ابن قره مانلي علي، ويعد مؤسس البحرية العثمانية العالمية، قاد معارك الدولة العثمانية البحرية في غرب البحر المتوسط وشرقه، وتشير المصادر إلى أن السلطان بايزيد الثاني (١٤٨١ . ١٥١٢) كلّفه بمساعدة مسلمي الأندلس، فكانت الحملة الأولى له عام ٨٩٣ هـ/١٤٨٧م، توفي أثناء غرق سفينته بعد عودته من حملة على أسبانيا، وكان ذلك بالقرب من غاليبولي في ١٦ شوال ٩١٦ هـ/١٦ كانون الثاني ١٥١١ م، ينظر عنه كراتشكوفسكي، المصدر السابق، ص ص ٥٨٨ . ٥٨٩؛ اوزوتونا، المصدر السابق، ص ص ١٩٤. ١٩٩، من الجدير بالذكر أن خير الدين بربروسا في مذكراته يقول أن محيي الدين بيري ريس هو ابن أخت كمال ريس، ينظر : مذكرات خير الدين بربروسن، الحلقة (٦) على موقع الأنترنيت www. chihab. net

7. Efetinan, op. cit., P. 9.

٨. تسمى أيضاً (بونه) وهي من المدن الجزائرية المهمة تقع شمال شرق الجزائر على ساحل البحر المتوسط، وعندما فتحها المسلمون عام ٧٨ هـ/٦٩٧ م سمّوها عنابة نسبةً إلى أشجار العناب.

9. Efetinan, op. cit., PP. 11, 56; Piri Reis.

على موقع الأنترنيت. www. biyografi. net ؛

أنيس عبد الخالق محمود القيسي، النشاط البحري العثماني في البحر المتوسط خلال القرن السادس عشر، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب . جامعة بغداد، ٢٠٠٧، ص ٩٤.

١٠. اوزوتونا، المصدر السابق، ص ١٩٥.

11. Efetinan, op. cit., P. 11.
12. Ibid, P. 28.

13. Ibid, P. 10.
14. Ibid, P. 12.

١٥. **براق ريس** : هو أميرال بحر عثماني خاض معارك بحرية عديدة مع البنادقة، وكان يتمتع بخبرات سياسية أيضاً جعلت السلطان بايزيد الثاني يرسله في مهمة دبلوماسية إلى فرنسا، استشهد في إحدى المعارك التي خاضتها الدولة العثمانية مع البنادقة، ينظر: اوزوتونا، المصدر السابق، ص ١٩٩.

16. Efetinan, op. cit., P. 56 ؛

أوزوتونا، المصدر السابق، ص ٢٠٠.

١٧. عن تلك المعارك البحرية، ينظر : اوزوتونا، المصدر السابق، ص ص ١١٩ . ٢٠٠؛ القيسي، النشاط البحري العثماني، ص ص ٧٨ . ٨٤.

18. Stanford Show History of the Ottoman Epire and Modoron Turkey 1280 – 1880, Vol. 1, (London, 1976), P. 76 .

١٩. عن هذا الصراع . ينظر : عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، (القاهرة، د. ت)، ج ٤، ص ٦٨؛ اوزوتونا، المصدر السابق، ص ص ١٨٥ . ١٨٩.

٢٠. اوزوتونا، المصدر السابق، ص ١٩٧؛

Piri Reis (1465, 70 – 1554), Osmanli denzeis Amerika'yi gosteren Dunya haritalari Ve Kitab – 1 Bahriye adlidenizcilik Kitabiyla Lanimstir.

على موقع الأنترنيت www. erkim. org

٢١. ينظر: Efetinan, op. cit., P. 11 .

22. Efetinan, op. cit., P. 14.

23. Ibid., P.14 ؛

للمزيد عن نشاط الأخوين عروج وخير الدين بربروسا في غرب البحر المتوسط، ينظر : رابحة محمد خضير العيسى الجبوري، موقف القوى الإسلامية من التوسع الأوربي في المغرب العربي ١٤٩٢ . ١٥٧٨. دراسة تاريخية . أطروحة دكتوراه، كلية الآداب . جامعة الموصل، ٢٠٠٦، ص ص ٨٨ . ١٠٦، ١١٥ وما بعدها.

٢٤. ينظر: أحمد فؤاد متولي، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى العصر الذهبي، (القاهرة، ٢٠٠٥)، ص ٢٥٤؛ القيسي، النشاط البحري العثماني، ص ١٧١.

٢٥. ينظر: مذكرات خير الدين بربروس، الحلقة (١٦) على موقع الأنترنيت www. chihab. net

٢٦. ينظر : أندري، كلو، سليمان القانوني، ترجمة : البشير بن سلامة، (بيروت، ١٩٩١)، ص ٢٨٥؛ اينان، المصدر اتلسابق، على الموقع www . Fustat . com

٢٧. ارسل خير الدين عدداً من المبعوثين إلى استانبول وهم فضلاً عن محيي الدين بيري ريس كركود اوغلو مصلح الدين، وحاجي حسين وسنان ريس وأبو العباس أحمد القاضي، ينظر : عنها، القيسي، النشاط العربي . العثماني، ص ص ١٢١ . ١٢٢.

٢٨. اوزوتونا، المصدر السابق، ص ٢٤٧؛ متولي، المصدر السابق ، ص ٢٥٤. للتفاصيل عن رحلة بيري ريس إلى استانبول وعودته إلى خير الدين وأخيه عروج، ينظر : مذكرات خير الدين بربروس، الحلقة (٦) على موقع www. chihab. net

٢٩. مذكرات خير الدين بربروسا، الحلقة (٦) على موقع www. chihab. net

٣٠. (٣٠) ينظر: Efetinan, op. cit., PP. 16, 66 ؛
مذكرات خير الدين بربروسا، الحلقة (٦) على موقع www. chihab. net

٣١. كلو، المصدر السابق، ص ٢٨٦؛
على الموقع PiRi Reis 1470 – 1554
www. matokuu. com
وعن حملة السلطان سليمان القانوني على رودس، ينظر : متولي، المصدر السابق، ص ص ٢٣٦ . ٢٣٧.

32. Efetinan, op. cit., P. 14.

٣٣. للمزيد عن ذلك الموضوع وإصلاحات الصدر الأعظم إبراهيم باشا، ينظر : سيد محمد السعيد، مصر في العهد العثماني في القرن السادس عشر. دراسة وثائقية في النظم الإدارية والقضائية والمالية والعسكرية . (القاهرة، ١٩٩٧)، ص ص ١٢٥ . ١٢٩؛ طارق أحمد شيخو ا لهسنياني، الدولة العثمانية والمشرق العربي في عهد السلطان سليمان القانوني ١٥٢٠. ١٥٦٦، رسالة ماجستير، كليبة التربية . جامعة الموصل، ٢٠٠٨، ص ص ٦٥ . ٧٠.

34. Efetinan, op. cit., PP. 14 – 15 .

٣٥. ينظر:
Bernard Lewis, The Emergence of Modern Turkey, (London, 1961), P. 27 .
وعن امتداد النفوذ البرتغالي في المحيط الهندي، ينظر :
C. R. Boxer, Race Relations in The potuguese Colonial Empire 1415 – 1825, (London, 1963); W. H. Moreland and Atal chandya chatterjee, A History of India, (London, 1966), PP. 197 – 203.
من الجدير بالذكر أن البرتغاليين بدأو بإرسال أساطيلهم الضخمة إلى المحيط الهندي ما بين ١٥٠٠ . ١٥٠٩ وسيطروا على معظم ساحل شرق أفريقيا وأسسوا عدداً من المستعمرات ونجحوا في إخضاع البلاد حول الخليج العربي بما فيها عدن وهرمز ومسقط، بالإضافة إلى أجزاء من سيلان كما ضموا ملقا ومجموعة من جزر الملايو وكثير من المناطق والمراكز المنتشرة حولها، ينظر : حسين أمين، التهديد البرتغالي لسواحل جزيرة العرب، مجلة المؤرخ العربي، العدد (١٢)، (بغداد، ١٩٨٠)، ص ص ٢٢٠ . ٢٢٢؛ أحمد العراقي، الإسلام والصليبيون في ساحل أفريقيا، مجلة الوثيقة، عدد ١٣، السنة ٧، (البحرين، ١٩٨٨)، ص ١٤١.

36. Andrew C. Hess, The Evolution of the Ottoman Seabornie Empire in the age of the Oceanic discoeveries, 1453 – 1525, in the American Historical Review Vol. L xxxv, Nomber. 7, 1976, P. 1912 ؛
كلو، المصدر السابق، ص ص ٢٨٦ . ٢٨٧.

37. Hess, op. cit., P.1914 .

٣٨. ينظر : إسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، ج ١، (مصر ، ١٣١٢ هـ)، ص ٥٤٧؛ سيد مصطفى سالم، الفتح العثماني الأول لليمن (١٥٣٨ . ١٦٣٥)، ط ٣ ،(القاهرة، ١٩٧٨)، ص ٤٢٢؛ ادريس الناصر الرائسي، العلاقات العثمانية . الأوربية في القرن السادس عشر، (بيروت، ٢٠٠٧)، ص ص ٤٠ . ٤١.

٣٩. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج ١، ترجمة : مكتب أمير قطر، (قطر، د . ت)، ص ٥٤٧. وعن أهمية هرمز التجارية، ينظر : نيقولا زيادة، ال جغرافية والرحلات عند العرب، (بيروت، ١٩٦٢)، ص ص ٢٤٠ . ٢٤٣.

٤٠. قطب الدين محمد بن أحمد المكي النهروالي، البرق اليماني في الفتح العثماني، (الرياض، ١٩٦٧)، ص ٣٩.

يصف البعض سليمان باشا الخادم بأنه رجل بلغ الثمانين من عمره سفاكاً للدماء، ضعيف العقل، ع ديم الرأي، طبعت نفسه على الغدر والخيانة، ولهذا فإن مسؤولية فشل الحملة تقع على عاتقه، ينظر : محمد أنيس، الدولة العثمانية والمشرق العربي ١٥١٤. ١٩١٤، (القاهرة، ١٩٨٥)، ص ١٣٥.

٤١. رولان مرسونيه، تاريخ الحضارات العام (القرنين السادس عشر والسابع عشر)، المجلد ٤، تعريب: يوسف أسعد داغر وفريد . م. داغر، (بيروت، ١٩٦٦)، ص ٥٥٤؛ حسين مؤنس، الشرق الإسلامي في العصر الحديث، ط ٢، (القاهرة، ١٩٣٨)، ص ٤٤؛ قدري قلعجي، الخليج العربي، (بيروت، ١٩٦٥)، ص ٣٧٢، ويذكر كراتشوفسكي أن الحملة بقيادة محيي الدين بيري ريس، إلاّ أن الصحي ح ما أثبتناه في المتن، للتفاصيل عن تلك الحملة، ينظر : سرهنك، المصدر السابق، ص ص ٥٤٧ . ٥٤٩.

٤٢. قلعجي، المصدر السابق، ص ٣٧٢؛ عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون ١٥١٦ . ١٩١٦، (دمشق، ١٩٧٤)، ص ص ٧١ . ٧٢؛ وليد محمد جرادات، الأهمية الستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر، (قطر، ١٩٨٦)، ص ١٠١.

٤٣. محمد رجائي ريان، أثر السيطرة السياسية والعسكرية العثمانية على الخليج العربي ما بين ١٥٤٦. ١٩١٤، مجلة دراسات تاريخية، السنة ٢٥، العددان ٨٥ . ٨٦ آذار . حزيران ٢٠٠٤، ص ص ٢٦٨ . ٢٦٩.

٤٤. طارق نافع الحمداني وآخرون، دراسات في تاريخ الخليج والجزيرة العربية، (البصرة، ١٩٨٥)، ص ص ١٩١ . ١٩٢ ؛ Efetinan, op. cit., P. 56.

٤٥. يوسف بك آصاق، تاريخ سلاطين آل عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، (القاهرة، ١٩٩٥)، ص ٦٤؛ موسونيه، المصدر السابق، ص ٥٥٤.

٤٦. ينظر : عبد الوهاب القيسي، موقف العثمانيين من الغزو البرتغالي للمياه العربية، مجلة الخليج العربي، المجلد ١٢، العدد ١، (البصرة، ١٩٨٠)، ص ٤٨.

وعن محاولات البرتغاليين للسيطرة على البصرة، ينظر : لوريمر، المصدر السابق، القسم التاريخي، ج ١، ص ١٦؛ ريان، المصدر السابق، ص ٢٦٧. وقد أشارت إحدى الوثائق البرتغالية إلى احتلالهم للقطيف، ينظر : مجلة المناهل، عدد ٢٠٦، السنة ١٠، ١٩٨٣، ص ٥٥.

٤٧. ينظر : الوثيقة المؤرخة في ٢٤ / ١١ / ١٥٥٠ من قاضي هرمز إلى ملك البرتغال يخبره فيها أن نائبه في الهند منع المتاجرة مع البصرة، والمنشورة في مج لة المناهل، عدد ٢٦٠، السنة ١٠، ١٩٨٣، ص ٥٤.

٤٨. ينظر : سالم، المصدر السابق، ص ص ٤٢٢ . ٤٢٣ ؛ نيقولاي ايفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية ١٥١٦ . ١٥٧٤، ترجمة : يوسف عطا الله، (بيروت، ١٩٨٨، ص ص ١٣٦ . ١٣٩. ويذكر أن سبب عودة البرتغاليين إلى عدن هو أن أحد زعماء ع دن أعلن التمرد ضد العثمانيين وطلب مساعدة البرتغاليين، ينظر : غسان علي محمد الرمال، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر خلال القرن العاشر الهجري . السادس عشر الميلادي، (السعودية، ١٩٨٥)، ص ص ٢٦٩ . ٢٧٠.

٤٩. ينظر : الكسندر، آدموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة : هاشم صالح التكريتي، ج ٢، (البصرة، ١٩٨٩)، ص ٧٠؛ اوزوتونا، المصدر السابق، ص ٣٣٣.
٥٠. ينظر: سرهنك، المصدر السابق، ص ٥٤٩؛ حسن صالح شهاب، أضواء على تاريخ اليمن البحري، ط ٢، (بيروت، ١٩٨١)، ص ٢١٥، وللتفاصيل عن التمردات في اليمن ودور محيي الدين بيري ريس في إخمادها، ينظر: ايفانوف، المصدر السابق، ص ص ١٣٨ . ١٣٩؛ اوزبران، المصدر السابق، ص ٤٣.
٥١. ينظر : أحمد جودت باشا، تاريخ جودت، ج ١، ترجمة : عبد القادر الدنا، (بيروت، ١٣٠٨هـ)، ص ص ١٥٩ . ١٦٠؛ شهاب، المصدر السابق، ص ٢١٦؛ الهسنياني، المصدر السابق، ص ١٢٥.

52. Efetinan, op. cit., P. 58 .

53. Ibid, P. 66 ؛

اوزوتونا، المصدر السابق، ص ٣٣٣ .

٥٤. حاجي خليفة، تحفة الكبار في أسفار البحار، (استانبول، ١١٤١)، الورقة ٢٨؛ سالم، المصدر السابق، ص ٤٢٣.

55. Ali Reise, A. G. E. S. 19 ؛

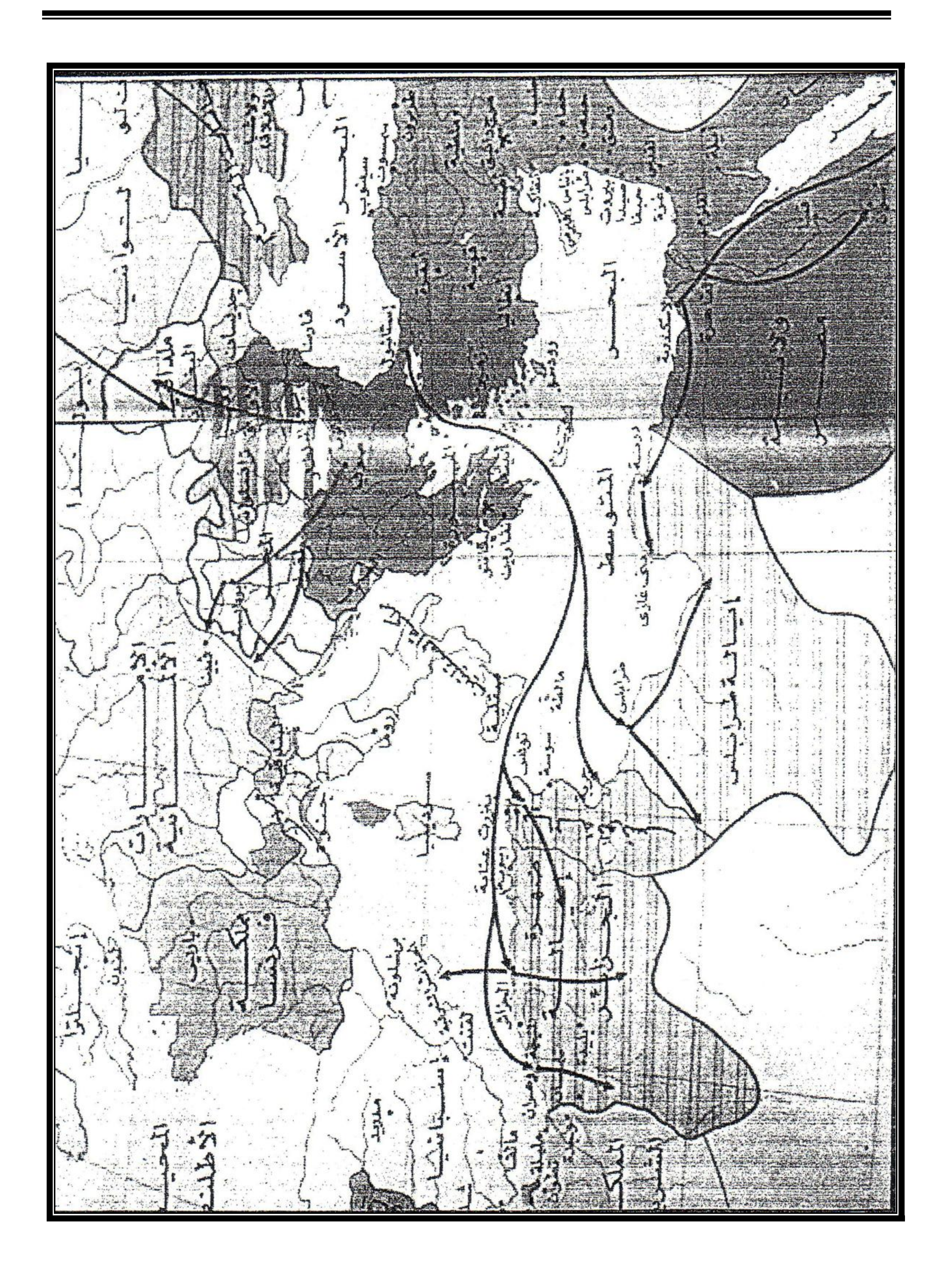
آدموف، المصدر السابق، ص ٧٠؛ جرادات، المصدر السابق، ص ١٠٣.

٥٦. عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، ج ٤، (بغداد، ١٩٥٥)، ص ص ٦٨ . ٦٩؛ عبد الكريم غرايبة، مقدمة في تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠ . ١٩٨٠، (دمشق، ١٩٦٠)، ص ٣٣.
٥٧. ينظر: سالم، المصدر السابق، ص ٤٢٣.
٥٨. عن هذا الموضوع، ينظر: العزاوي، المصدر السابق، ص ٦٩؛ آدموف، المصدر السابق، ص ٧٠.
٥٩. فالح حنظل، معارك البحرية العثمانية ضد البحرية البرتغالية في الخليج العربي، مجلة الوثيقة، العدد ١٧، السنة ٩، ١٩٩٠، ص ٣٧.
٦٠. اوزوتونا، المصدر السابق، ص ص ٣٣٣ . ٣٣٤؛ جرادات، المصدر السابق، ص ١٠٣، وينظر: Piri Reis (….. - 1554) على الموقع www. Kimkimdir . gen
٦١. وهو من مشاهير أمراء البحر العثمانيين الذين ظهروا في القرن السادس عشر، من أهالي سينوب الواقعة على البحر الأسود، ومن عائلة اشتهرت ببناء السفن منذ عهد السلطان محمد الفاتح (١٤٥١ . ١٤٨١)، اشترك مع السلطان سليمان القانوني في الاستيلاء على رودس عام ١٥٢٢ م، كما اشترك في الكثير من المعارك البحرية في البحر المتوسط تحت قيادة كبار قادة البحر العثمانيين أمثال خير الدين بربروسا وعروج وسنان، ينظر عنه:

Ali Ris, A. G. E. S. 11 ؛

سالم، المصدر السابق، ص ٤٢٥.

٦٢. للتفاصيل عن هذا الموضوع، ينظر: Ali Ris, A. G. E. SS. 19 – 23.



خارطة تمثل السيطرة العثمانية على البحر المتوسط

المصدر: حسين مؤنس، أطلس التاريخ الإسلامي، (القاهرة، ١٩٨٧)، ص ٣٤٧.